الاطلال

«هذه قصة حب عاثر: إلتقيا وتحابا ثم
انتهت القصة بأنها صارت أطلال جسد،
وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل
وقائعها كما حدثت».

يـا فـؤادي رحـم الـلّهُ الـهـوى
كـان صـرحـاً من خيـال فهـوى
اسـقـنـي واشـربْ عـلى أطـلالِـهِ
وارو عني طـالـمـا الـدمـع روى
كـيـف ذاك الـحـب أمسى خـبـراً
وحـديـثـاً من أحـاديـث الـجـوى
وبـسـاطـا مـن نـدامـى حـلم
هـم تـواروا أبـداً وهـو انـطوى.

* * *

يـا ريـاحـا ليس يهـدا عصفـهـا
نضب الـزيتُ ومصبـاحي انـطفـا
وأنا أقتات من وهم عفا وأفي العمر لناسٍ ما وفى
كـم تـقـلبـت عـلى خـنـجـره
لا الهـوى مـال ولا الجفنُ غـفـا
وإذا القلبُ على غفرانِهِ كلما غاربه النصلُ عفا
يا غراما كان مني في دمي قدراً كالموت أوفى طعمِهِ
ما قضينا ساعة في عرسِهِ وقضينا العمر في مـأتمه
ما انتزاعي دمعةً من عينِهِ واغتصابي بسمةً من فمِهِ
ليت شعري أين منه مهربي أين يمضي هاربٌ من دمِهِ

* * *

لستِ أنساكِ وقد أغريتني
بفمٍ عذبِ المناداة رقيقْ
ويدٍ تمتد نحوي كيدٍ
من خلال الموجِ مُدّتْ لغريقْ
آه يا قِبلة أقدامي إذا
شكتِ الأقدامُ أشواكَ الطريقْ
وبريقاً يظمأ الساري لهُ
أين في عينيك ذيّاك البريقْ
لست أنساك وقد أغريتني
بالذرى الشم فأدمنتُ الطموحْ
أنت روح في سمائي وأنا
لك أعلو فكأني محضُ روحُ
يا لها من قمم كنّا بها نتلاقى وبسرّينا نبوحْ
نستشف الغيبَ من أبراجها
ونرى الناسَ ظلالاً في السفوحْ

* * *

أنتِ حسن في ضحاه لم يَزَلْ
وأنا عندي أحزان الطَفَل
وبقايا الظل من ركب رحلْ
وخيوطُ النور من نجمٍ أفلْ
ألمح الدنيا بعيني سئمْ
وأرى حُولي أشباحَ المللْ
راقصات فوق أشلاء الهوى
معولاتٍ فوق أجداثِ الأملْ
ذهب العمرُ هباءً فاذهبي
لم يكن وعدُك إلا شبحا
صفحةٌ قد ذهب الدهرُ بها
أثبت الحب عليها ومحا

انـظري ضِـحكي واقصُـي فـرحـا
وأنـا أحـمـل قـلبـاً ذُبِـحَـا
ويـرانـي الـنـاسُ روحـاً طـائـراً
والجـوى يـطحنني طحن الـرحى؟

* * *

كـنـت تـمثـال خـيـالـي فـهـوى
الـمـقـاديـر أرادتْ لا يـدِي
ويـحهـا لـم تـدرِ مـاذا حـطمتْ
حـطمت تـاجي وهـدّت مـعبـدي
يـا حـيـاة الـيـائس الـمـنـفـرد
يـا يـبـابـاً مـا بـه مـن أحـدِ
يـا قـفـاراً لافـحـاتٍ مـا بـهـا
من نجي.. يـا سكـون الأبـدِ..

* * *

أيـن من عـيـنـي حـبـيـبٌ سـاحـرٌ
فـيـه نـبـلٌ وجـلالٌ وحـيـاءْ
واثـقُ الـخـطوةِ يـمـشـي ملكـا
ظـالـمُ الحسنِ شـهـيُّ الـكبـريـاءْ
عـبقُ الـسحـرِ كـأنـفـاسِ الـربى
سـاهـمُ الطرفِ كـأحلامِ المسـاءْ
مـشـرقُ الـطلعـةِ فـي مـنـطقِـهِ
لـغـةُ الـنـورِ وتـعـبـيـرُ الـسـمـاءْ

* * *

أيـن مـنـي مـجـلسٌ أنـت بـهِ
فـتـنَـةٌ تـمـت سـنـاء وسـنـى
وأنـا حـبٌّ وقـلبٌ ودمٌ
وفـراشٌ حـائـرٌ مـنـك دنـا

ومـن الـشـوقِ رسـولٌ بـيـنـنـا
ونـديـمٌ قـدّم الـكـأسَ لـنـا...
وسـقـانـا. فـانـتـفـضـنـا لـحـظةً
لـغـبـارٍ آدمـي مـسـنـا!
قـد عـرفـنـا صـولـةَ الجسمِ التي
تـحكـم الحـيَّ وتـطغي في دمـاه
وسـمعـنـا صـرخـةً في رعـدِهـا
سـوط جـلّادٍ وتـعـذيـب إلـه
أمـرتْـنـا فـعـصـيـنـا أمـرَهـا
وأبـيْـنـا الـذلَّ أن يـغشى الجبـاه
حكم الـطاغي فكنـا في الـعصـاهْ
وطـردنـا خـلفَ أسـوارِ الـحـيـاهْ

* * *

يـا لمنـفيين ضـلّا في الـوعـورْ
دميـا بـالشـوك فيها والصخـورْ..
كـلمـا تـقسـو الـلـيـالـي عـرفـا
روعـة الآلامِ في المنفى الطهـورْ..
طـردا مـن ذلـك الحِلم الكـبـيـرْ
للحظوظِ السودِ والليـلِ الضـريـرْ
يـقبسـان الـنـورَ مـن روحـيْـهـمـا
كلمـا قـد ضنتِ الـدنيـا بـنـورْ

* * *

أنـت قـد صيـرت أمـري عـجبـا
كـثـرتْ حـولـيَ أطـيـارُ الـربى
فـإذا قـلت لـقـلـبـي سـاعـةً
قـم نـغـردْ لـسـوى لـيـلى أبى
حـجـبـتْ تـأبى لـعـيـني مـاربـا
غـيـر عـيـنـيـك ولا مـطلبـا

أنــتِ مـن أسـدلـهـا لا تـدعـي
انـني أسـدلـت هـذي الـحُـجُـبـا
ولكم صـاح بي اليـأسُ انتـزعهـا
فـيـرد القـدرُ الـسـاخـرُ: دعـهـا

يا لها من خطة عمياء لو أنني أبصر شيئاً لم أطعها
وليَ الـويـل إذا لبيتُهـا ولي الويلُ إذا لم أتبعها

قـد حنت رأسي ولـو كـل القـوى
تـشتـري عـزة نـفسي لم أبـعهـا

* * *

يـا حـبيـبـاً زرتُ يـومـاً أيـكَـهُ
طـائـر الـشـوق أغـنـيْ ألـمـي
لـك ابـطاءُ الـدلالِ الـمـنـعـمِ
وتـجـنـيْ الـقـادرِ الـمـحـتـكـمِ
وحـنيـني لـك يـكـويْ أعـظمي
والـثـواني جـمـرات فـي دمـي
وأنـا مـرتـقـبٌ فـي مـوضـعـي
مـرهفُ السمـعِ لـوقـعِ القـدمِ

* * *

قـدم تـخـطو وقـلـبـي مـشـبـه
مـوجـة تـخـطو إلـى شـاطئـهـا
أيـهـا الـظالـم بـالله إلـى كـم
اسـفـح الـدمـعَ عـلى مـوطئـهـا
رحـمـةٌ أنـت فـهـل مـن رحـمـةٍ
لـغـريـب الـروحِ أو ظـامئـهـا
يـا شفـاءٌ الـروح روحي تَشتكي
ظـلمَ آسـيـهـا إلـى بـارئـهـا...

* * *

أعـطنـي حـريتـي أطـلقْ يـديّ
انني اعـطيتُ مـا استبقيتُ شيّ
آه مـن قـيـدك أدمـى مـعـصـمـي
لـمَ أبـقـيـهِ ومـا أبـقـى عـليّ
مـا احتفـاظي بعهـود لم تصنْهـا
وإلام الأسـر والـدنـيـا لـديْ
هـا أنا جفتْ دموعي فـاعفُ عنهـا
انـهـا قـبلَك لـم تـبـذلْ لـحـيْ

* * *

وهبِ الـطائـر عن عـشـك طـارا
جـفـتِ الـغـدرانُ والـثـلجُ أغـارا
هـذه الـدنـيـا قـلوب جَـمَـدتْ
خـبتِ الـشعـلةُ والـجـمـرُ تـوارى
وإذا مـا قـبس الـقـلب غـدا
مـن رمـادٍ لا تسلْهُ كـيف صـارا
لا تسلْ واذكرْ عـذابَ المصطليْ
وهـو يـذكيـهِ فـلا يـقبسُ نـارا

* * *

لا رعـى الـلّهُ مـسـاءً قـاسـيـا
قـد أرانـيْ كـلَّ أحـلامي سـدى

وأراني قلبَ من أعبـدُهُ ساخراً من مدمعي سخر العدا
ليت شعري أي أحداث جر ت أنزلت روحَك سجناًموصدا
صدئت روحك في عيهبِها وكذا الأرواح يعلوها الصدا

* * *

قـد رأيتُ الكـونَ قـبـراً ضـيـقـا
خـيّم الـيـأسُ عـليـهِ والـسـكـوتْ

ورأت عيني أكاذيبَ الهوى
واهياتٍ كخيوطِ العنكبوتْ
كنت ترثي لي وتدري ألمي
لو رثى للدمع تمثال صموتْ
عند أقدامك دنيا تنتهي
وعلى بابك آمالٌ تموتْ

* * *

كنت تدعوني طفلاً كلما
ثار حبي وتندتْ مقلي
ولك الحق لقد عاش الهوى
فيّ طفلاً ونما لم يعقلِ
ورأى الطعنة إذ صوبتها
فمشت مجنونة للمقتل
رمت الطفلَ فأدمتْ قلبهُ
وأصابتْ كبرياءَ الرجلِ
قلت للنفس وقد جزْنا الوصيدا
عجلي لا ينفعُ الحزمُ وئيدا
ودعي الهيكلَ شبتْ نارُهُ
تأكلُ الركَّعَ فيهِ والسجودا
يتمنّى لي وفائي عودةً
والهوى المجروحُ يأبى أن نعودا
لي نحو اللهب الذاكي به
لَفتة العود إذا صار وقودا

* * *

لستُ أنسى ابداً ساعة في العمرِ
تحت ريحٍ صفقتْ لارتقاصِ المطرِ
نوّحتْ للذِكَرِ وشكتْ للقمرِ
وإذا ما طربتْ عربدتْ في الشجرِ

هاك ما قد صبت الريـ ـح باذن الشاعر
وهي تغري القلب اغرا ء النصيح الفاجر

أيها الشاعر تغفو
تذكرُ العهدَ وتصحو
وإذا ما التأم جرحٌ
جد بالتذكارِ جرحُ

فتعلمْ كيف تنسى وتعلمْ كيف تمحو
او كل الحب في رأ يكَ غفرانٌ وصفحُ

* * *

هاك فانظرْ عددَ الرمـ ـلِ قلوبا ونساءْ
فتخيرْ ما تشاءْ ذهب العمرُ هباءْ
ضل في الأرض الذي ينشد أبناء السماءْ
أي روحانية تعـ ـصر من طين وماءْ..

* * *

أيها الريح أجلْ لكنما
هي حبي وتعلاتي ويأسي
هي في الغيبِ لقلبي خلقتْ
أشرقتْ لي قبل أن تشرقَ شمسِ
وعلى موعدها أطبقتُ عيني
وعلى تذكارها وسدتُ رأسي

* * *

جنّتِ الريحُ ونادتـ ـه شياطين الظلام..
أختاماً كيف يحلو لك في البدء الختام
يا جريحا اسلمَ الجر حَ حبيبا نكأهْ
هو لا يبكي إذا النـ ـاعي بهذا نبأهْ
أيها الجبار هل تصـ ـرع من أجل امرأهْ..

* * *

يـا لهـا من صيحـةٍ مـاً بـعثت
عـنـده غـيـر ألـيـمِ الـذكـرِ
ارقـت في جـنبـه فـاستيـقـظت
كـبـقـايـا خـنـجـر مـنـكـسـرِ
لـمـع الـنـهـرُ ونـاداه لـه
فـمـضـى مـنـحـدراً لـلـنـهـرِ
نـاضـبُ الـزادِ ومـا مـن سـفـرِ
دون زادٍ غـيـر هـذا الـسـفـر

* * *

يـا حبيبي كـل شيء بـقـضـاءْ
مـا بـأيـديـنـا خُـلِقْـنـا تـعـسـاءْ
ربـمـا تـجـمـعُـنـا أقـدارُنـا
ذات يـومٍ بـعـدمـا عـزّ الـلقـاءْ
فـاذا أنـكـر خـلٌّ خـلَّه
وتـلاقـيـنـا لـقـاءَ الـغـربـاءْ
ومـضـى كـلٌّ إلـى غـايـتِـهِ
لا تقـلْ شيئا! وقـل لي الحظ شاءْ

* * *

يـا مغني الخلد ضيعت العمرْ
في أنـاشـيـد تـغـنّـى لـلبـشـرْ
ليس في الأحيـاءِ من يـسـمـعـنـا
مـا لـنـا لسـنـا نغـني لـلحـجـرْ
لـلجـمـارات الـتـي لـيـستْ تـعي
والـرمـيـمـات الـبـوالي في الحـفـرْ
غـنّـهـا سـوف تـراهـا انـتـفـضـتْ
تـرحـم الـشـاديْ وتـبـكـي لـلوتـرْ

* * *

يـا نـداء كـلمـا أرسـلتُـهُ
رد مـقـهـوراً وبـالـحظِّ ارتـطم
وهـتـافـاً مـن أغـاريـد الـمنـى
عـاد لـي وهـو نـواحٌ ونـدمْ
رب تـمـثـالٍ جـمـالٍ وسـنـا
لاح لـي والـعـيش شـجـو وظـلـمْ
ارتـمى الـلحـنُ عـلـيـهِ جـاثـيـاً
لـيس يـدريْ أنـه حسـنٌ أصـمْ

* * *

هـدأ الـلـيـلُ ولا قـلب لـه
أيهـا الساهـر يـدري حيـرتـكْ
أيـهـا الشـاعـر خـذ قـيـثـارتـكّ
غنِّ أشجـانـك واسكبْ دمعتَـكْ
رب لـحـن رقص الـنـجـمُ لـه
وغـزا السحب وبـالنجم فتـكْ
غـنّـهِ حتى نـرى سترَ الـدجى
طـلع الـفـجـرُ عـلـيـه فـانـهـتـكْ

* * *

وإذا مـا زهـرات ذعـرت
ورأيـت الـرعـبَ يـغـشى قـلبـهـا
فـتـرفـقْ واتئـدْ واعـزفْ لـهـا
من رقيـقِ اللحـنِ وامسـحْ رعـبَهـا
ربـمـا نـامتْ عـلى مـهـدِ الأسى
وبـكـبتْ مـسـتـصـرخـاتٍ ربـهـا
أيـهـا الـشـاعـر كـم مـن زهـرةٍ
عـوقبتْ لـم تـدرِ يـومـاً ذنبَـهـا

* * *